الإمام علي بن الحسين "السجاد" عليه السلام الهوية وتشييد الذات الجديد للإسلام

الأستاذ المساعد الدكتور
أسعد شريف الأمارة
جامعة واسط ـ كلية الآداب
asaad.elemara@gmail.com

مقدمة:

أعتقد أن أولى رياح العصف للثورة الحسينية بدأت من لحظات دعوة الإمام علي بن الحسين عليه السلام بإحياء واقعة الطف في المدينة المنورة، حينما دعا لإحياء ذكرى استشهاد والده الإمام الحسين عليه السلام، هذه الواقعة التي أضفت بأثارها النفسية والتربوية والاجتماعية بُعداً رمزيًا وواقعيًا للوجود الإنساني لآل بيت النبوة، فضلا عن جوانبها الإنسانية الاخرى على واقع الأمصار الإسلامية خارج عاصمة الدولة آنذاك في الشام، هذه الذكرى الأليمة بكل مآسيها وحيثياتها في حياة المجتمع الإسلامي لها وقع المعاناة، لا من حيث حدوث الواقعة فحسب، بل من تم الفتك بهم بطريقة وحشية لا مثيل لها، وأسلوب المعاملة التي تعرضت لها أسرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وأحفاده وابناءهم. من هنا يمكننا القول بأن العلم لا يتقدم من حقيقة لأخرى، بل يتقدم ضد أخطاء سابقة، فيمكننا أن نزيد هنا أن العقل إمكانية وليس حالًا، وإذا ما كان التخلي عن الأحكام الخاطئة يعني لدى البعض- في دلالته القصيوية التخلي عن الحياة، فإن علينا أن نشير إلى أنّ تقدم المعرفة سيظل نضالًا بين المألوف وغير المألوف، بقدر ما يقتضي إكتساب الجديد توقع ما لا ينتظر(زيور، ٢٠٠٠، ١٥) وهو تحديد الهوية الجديدة للإسلام المحمدي الحق، وليس الإسلام الأموي الذي دعا إليه معاوية بن أبي سفيان ومن بعده ولده يزيد، هنا بدأت تأخذ هذه الدَعوةُ التي يمكننا أن نطلق عليها بحق وبكل مفخرة بأنها الانتفاضة الصامتة لإحياء سيرة أهل البيت عليهم السلام من جديد، وتشييد الذات الإسلامية على وفق مبادئ أهل البيت، وهو إسلام محمد صلى الله عليه وآله، ومبدئية علي عليه السلام، وانتفاضة الحسين عليه السلام ضد الجور والفساد والتدهور القيمي لبني أمية، لا نغالي إن قلنا أن بموت الإمام الحسين عليه السلام شَيدَ ولده الامام علي بن الحسين عليه السلام الذات الجديدة للإسلام الحقيقي، بقيم جديدة أعادت روح الإسلام الصحيح، وقد أضحت هذه القيم أنموذجاً تحتذي به الأمة

الإسلامية، وهو مركب فيه شفاءٌ من اللبس هو المعرفة الجديدة، وهو الضياء الذي رسخ أسسه الإمام علي بن الحسين عليه السلام بنظريته الجديدة عن الذات الإسلامية، فهو نقل الأمة من البصر إلى البصيرة، بقدر ما تخطى في الآن نفسه الرأي إلى الرؤية، وفعلًا أشعل وميض التفكر في حشود المسلمين الذين كادوا أن يؤمنوا بما هو مألوف من تدين للإسلام السياسي رسخ بعض اسسه بنو أمية، أستطاع الإمام السجاد أن لا يركن للمجهلة، وذهب بعيداً في إطروحاته الإسلامية الحقة من خلال البحث عن المدرك من المعنى، وليس الإسلام السطحي.

تحديد المفاهيم والمصطلحات:

هَويّة

حقيقة مطلقة في الأشياء والأحياء مشتملة على الحقائق والصفات الجوهرية: ((هوية النفس الإنسانية، بطاقة الهوية)). منسوبة إلى هو

المعجم: الرائد

الهويّة.. إحساس الفرد بنفسه وفرديّته وحفاظه على تكامله وقيمته وسلوكه وأفكاره في مختلف المواقف.

المعجم: عربي عامة

المعجم: المعجم الوسيط يرى أن الهُوِيَّةُ (في الفلسفة): حقيقةُ الشيء أَو الشخص التي تميزه عن غيره. و الهُوِيَّةُ بطاقةٌ يُثبَتُ فيها اسمُ الشخص وجنسيتهُ ومولدُه وعملُه، وتُسمَّى البطاقةَ الشخصية أَيضًا.

أما الهوية في علم النفس

(الذات) في علم النفس:

يعرف قاموس علم النفس الذات بأنها شعور الفرد بكيانه المستمر(لادل،ب.ت،١٤٧)

يعرفها "مورفي" أن الذات هي الفرد كما هو معروف للفرد.

ويعرفها هي إدراكات الفرد وتصوراته لوجوده الكلي كما يعرفه (هول ولندزي، ١٩٧٠، ٦٥١).

ويعرف "البورت" الذات هي الفرد كما يعتبر شاعراً بهويته المستمرة الخاصة وبعلاقته بالبيئة(أبو زيد، ١٩٨٧، ٧٨)

الهوية كمبدأ فلسفي تعبر عن ضرورة منطقية بعينها تؤكد أن الموجود هو ذاته دومًا لا يلتبس به ما ليس منه فهو عين ذاته كما تقول الفلسفة "مبدأ الهوية Identity Principle" (عبد القادر، ١٩٩٣، ٨٣٣)

كيف شيّد الامام السجاد عليه السلام الهوية الجديدة للإسلام بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام؟

غني عن البيان أن المجتمع الإسلامي في المدينة وفي معظم الأمصار الإسلامية الأخرى تعرض بعد استشهاد الامام الحسين وآل بيته عليهم السلام لهزة عظيمة وما تركه من أثر بالغ في النفوس، ولكي نزيد الأمر وضوحًا فقد تأسس بعد تلك الفترة إتجاه كان له دعاة سبقوا الإمام علي بن الحسين عليه السلام في مكة وهو عبد الله بن عباس وهو من تلاميذ الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، استمر في حياة الإمام علي وبعد وفاته في تشجيع الحركة العلمية، حتى بلغت الذروة، لذا يرجع الفضل إليه لمدرسة مكة من شهرة علمية، أما مدرسة المدينة فقد ترأس بعد ذلك(أي بعد إستشهاد الإمام الحسين عليه السلام) الإمام علي بن الحسين(القزويني، ١٩٨٦، ٢٥٨) ويضيف السيد علاء القزويني، فعلي بن الحسين عليه السلام يعد المؤسس الثاني للمدرسة الإسلامية الشيعية، حيث أن جده علي بن أبي طالب عليه السلام هو المؤسس الأول، ولهذا كان عميد آل البيت بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، وقد أختار علي زين العابدين أن يعلم الناس، وأن يفهمهم بأمور دينهم، وأخذ أولاده بالنظر في علوم الدين، وأعدهم ليكونوا ائمة صالحين(الشرقاوي، ١٩٨١، ١٦).

علي زين العابدين كان إمام المدينة(أبو زهرة، ب.ت، ٦٨٨) هذا إذًا ميدان هدفه، وها هو يصنع فلسفة جديدة كأعلى ما تكون الفلسفة والفكر الذي أسسه جده علي بن أبي طالب عليه السلام، أستحدثت مدرسته الاهتمام بأسلوب بليغ في توعية الناس وارشادهم، ذلك هو الدعاء، حيث السلاح الوحيد الذي يملكه في نشر العلم والعرفان وبث الدعوة الإسلامية، والتغلغل في صفوف الناس وتوجيههم الوجهة الدينية والأخلاقية والاجتماعية والسياسية، مما جعله يكسب أهمية بالغة من هذه النواحي(الخفاجي، ١٩٧٨، ٥٩) حتى ألف رسالة الحقوق وهي من الأعمال الفكرية السامية في الإسلام، تحتوي على توجيهات

وتعليمات وقواعد في السلوك العام والخاص من أدق ما يعرفه الفكر الإنساني(الصدر، ١٩٧٣، ٦٦-٦٧) ويضيف السيد الصدر كان للمسلمين عمومًا تعلق عاطفي شديد بهذا الإمام وولاء روحي عميق له، وكانت قواعده الشعبية ممتدة في كل مكان من العالم الإسلامي، وقد قدر للإمام زين العابدين أن يتسلم مسؤولياته القيادية والروحية بعد استشهاد أبيه، فمارسها خلال النصف الثاني من القرن الأول للهجرة، وهو بذلك قد شيد أولى أسس الهوية الجديدة للإسلام الصحيح، بيد أن هذه اللمحات وغيرها المقترنة بالتعلق العاطفي وغيرها بقيت ضربًا من التعبير المنطقي في بيئة سيطر عليها الفكر الأموي بملذاته وفتوحاته وما يحققه آنذاك من أموال مجزية، يغدق بها على أتباعه وبعض من يؤمن بخطه في السلطة.

أننا نعلم أن هذا التوجه الذي أسسه بطرح فكر علي بن أبي طالب عليه السلام وقيم الإسلام الصحيح بدين محمد صلى الله عليه وآله تحتاج قدرة عالية ما لم يصطنع ضربًا من الأسلوب الذي يستطيع به أن يؤثر في الناس، يقول الدكتور أحمد صبحي" ولكن زين العابدين قد أقدم على زعزعة التركيب الاجتماعي للمجتمع الإسلامي الذي أراد له الأمويون أن يقوم على العصبية وذلك لأنه زوج جارية سندية أرضعته وكفلته وأصبحت في مكانة أمه المتوفاة، زوجها من مولاه واعتق جارية له وتزوجها، وليس هذه الحادثة عملا شخصيًا من الإمام، وليس أدل على خطورتها من أن عبد الملك بن مروان إنزعج لذلك وأرسل إليه يعيره، كان رده عليه: لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة، لقد أعتق رسول الله جاريته صفية وتزوجها، وأعتق زيد بن حارثة وزوجه أبنة عمته زينب بنت جحش" ويضيف الدكتور أحمد صبحي، هذا هو علي بن الحسين ورث إمامته من إنتسابه إلى فاطمة الزهراء، ورسم للشيعة طريق الإمامة الروحية(صبحي، ١٩٦٩، ٣٥٦)

الإمام زين العابدين والهوية الجديدة للإسلام:

إن الإنسان صاحب دور في مسيرته التاريخية وفي تغيير نظامه الاجتماعي (شريعتي،٢٠١٢، ١٧) ولذا فإن جوهر الإنسان هو أنه إنسان راغب في إعادة الحياة، فدون هذه الرغبة تفقد الحياة معناها ومدلولها، وإن كان الإمام زين العابدين السجاد عليه السلام قد توصل إلى هذه المعرفة، وهذه الحقيقة وبدأ بالفعل لأن يخطط لإعادة الحياة لدين جده محمد صلى الله عليه وآله ولكن بهوية جديدة، ومفاهيم أخرى غير مألوفة لما هو سائد في ثقافة التدين الجديد

الذي خلقه بنو أمية في مختلف الأمصار الإسلامية التي سيطروا عليها، ونشروا هذا التدين السطحي للإسلام، فكان لابد له أن يتخطى الحواجز والحدود التي رسمها بنو أمية، والعودة إلى مبدئية علي بن أبي طالب عليه السلام وعدالته القائمة على صدق الإسلام. لم يتوقف الإمام السجاد عليه السلام عند الحواجز والشدائد التي أصطنعها الأمويون وبالأخص في شتم (علي) على المنابر طيلة فترة البدايات الاولى لحكمهم وإستمرارهم في تشوية الإسلام الصادق، وهكذا فإن صيحة الإمام زين العابدين عليه السلام الهادئة لم تكن مدوية، ولم تكن ثورية بقدر ما كانت دعوة بالعودة إلى تعاليم وأسس الدعوة الإسلامية التي وضعها النبي محمد صلى الله عليه وآله ورسخها علي بن أبي طالب عليه السلام، دعوة إلى إعادة قراءة ما جاء به النبي محمد صلى الله عليه وآله.

تميزت دعوة الإمام زين العابدين عليه السلام بتكوين الهوية الجديدة للإسلام من خلال تقديم صياغات تطورية عديدة من خلال خبرته الواقعية لما عاشه من تحولات مأساوية في واقعة الطف في كربلاء وما تلاها من تغيرات جمعية في سلوك المسلمين بالهرولة نحو الملذات التي عرضها بنو أمية في بداية حكمهم. أستطاع الإمام السجاد عليه السلام بفضل مراجعته أكتشاف مصادر المعرفة الإنسانية التي تأتي من اللغة، وتلك تتضمن أعماق الإنسان لاشعوره وتاريخه الثقافي والاجتماعي، ووسائل تعبيره المختلفه(زيور، ٢٠٠٦، ٨٩)

إن الإمام زين العابدين عليه السلام لم ينفصل عن فكر أبيه أو جده في تشييد كينونة منفردة بهوية جديدة للإسلام كما يحدث في المذاهب أو الاتجاهات الدينية التي تنفصل عن الفكر الأم، بل أنه فتح الباب الذي سيدخله إلى النظام الجديد لأئمة آل البيت، ولا نغالي إذا قلنا أنه أسس هذا الاتجاه الفكري لمعالم سلالة علي ومن بعده الحسين، رغم أن الإمام الحسين عليه السلام كان ثائراً، ولم يهادن أو يبايع ولو بكلمة، إلا أن الإمام السجاد عليه السلام أنتهج الفكر ذاته، ولكن أختلفت الأساليب، هذه الأساليب التي يمكننا القول أنها الباب الذي بوساطته أسس ورسخ الهوية الجديدة لدين محمد صلى الله عليه وآله مستخدماً النظام الأكثر تأثيراً وهو اللغة، واللغة عند العرب هي جوهر التأثير وقوته، فلذلك أستخدم المعنى في اللغة للإشارة إلى ما مر به هو وآل بيت محمد صلى الله عليه وآله، وكيف تم تزييف الإسلام بشكل مباشر وتحت قوة وتأثير الأموال والعنف المبرمج.

إن الإضافة الحقيقية للإمام زين العابدين عليه السلام ربما تكون في عبقريته وتكمن فيما هو

أبعد، فهو لم يتوقف عن الإشارة إلى ما مر به وآل بيته من مأساة، بل إلى وجود تأثير لا شعوري تعدى ذلك بتحديده للقوانين التي تنظم العلاقة في مجتمعات الأمصار الإسلامية خلال حكم الأمويين، وتحكمه فيما أطلق عليه بعض العمليات الأساسية منها التكثيف والرمزية من الناحية النفسية، ومقابلها من الناحية اللغوية هي الاستعارة والكناية، ولا ندري أن كانت هي الأساس في بناء مفهوم (التقية) بعد ذلك من بعده أولاده، لا خوفًا ولا تنكرًا، بقدر ما هي حفاظًا واستمرارًا على بقاء سلالة رسول الله من المعصومين عليهم السلام، ويحق لنا أن نقول أن الإمام السجاد عليه السلام أكتشف لنا قارة بإسرها من الأساليب النفسية للحفاظ على جوهر القيم الإنسانية الإسلامية الحقة والتي لم يرتدها أحد قبله، رافضًا القيم التي جاء بها حكام بني أمية وبثوها في المجتمعات الإسلامية حديثة التكوين.

نستطيع أن نقول أيضًا إن الإمام زين العابدين عليه السلام بذلك قد منح الموالين لآل البيت أذنًا ثالثة تسمع ما لا تسمعه الأذنين الآخريين وبذلك أسس لإستمرار هوية علي بن أبي طالب عليه السلام وهوية أبيه الإمام الحسين عليه السلام ولكن بقيم جديدة، لا نغالي إن قُلنا بأنه أستطاع فك شفرة بني أمية من خلال بقاء واستمرار آل البيت بمنهجه المسالم بقوله عليه السلام: لا حَسَبَ لقرَشِيٍّ وَلا لعَربِيٍّ إلاّ بتَواضُع، وَلا كَرَمَ إلاّ بتَقوَى، وَلا عَمَلَ إلاّ بنيّة، وَلا عِبَادَةَ إلاّ بالتّفَقُّه، ألاَ وَإنّ أبغَضَ النّاسِ إلى اللهِ مَنْ يَقتَدِي بِسُنّةِ إمَامٍ وَلا يَقْتَدي بِأعْمَالِه.

كيف صّيرَ الإمام السجاد عليه السلام جمهور المسلمين لدعوته المسالمة؟

يعرف "برنارد" الجمهور بأنه حشد من الناس صغيرًا أو كبيرًا يوجدون وجهًا لوجه ويستجيبون بإنسجام ووحدة وتوافق على الإيحاءات التي تعرضوا لها بطريقة عشوائية (الاماره، ٢٠١٣، ٥٢) حيث يعد جمهور الدولة الاموية، بعد أن آلت أحوال المسلمين لهم مكسبًا تم شراؤه بالأموال والمنح والهدايا والعطايا من الذهب والاراضي والسلطة والجاه، فضلا عن التخفيف في تطبيق شرائع الدين الإسلامي القائمة على صدق دعوة النبي محمد صلى الله عليه وآله ومبدئية الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وثورة الإمام الحسين عليه السلام بكشف الزيف عن حقيقة إسلام بني أمية، وبثّ روح الوعي لدى الأُمّة المستسلمة للوهن.

وسؤالنا كيف أستطاع الإمام السجاد عليه السلام إستمالة هذا الجمهور المغيب الوعي عن حقيقة بني أمية.

يرى علماء النفس أن الوعي يعني "في أي لحظة من الزمان، يكون الأفراد على علم – بدرجة ما- بما يدور داخل/ أو خارج ذواتهم، وفي الغالب يكونوا على دراية بمجموعة من الأفكار، والمشاعر، والذكريات والمدركات(دافيدوف، ١٩٨٣، ٢٩١)

أنتهج الإمام السجاد عليه السلام بدعوته المسالمة في مواجهة طغاة بني أمية هو بما أكثر ما يشغل الإنسان من شاغل، ويتحدث به الناس دائماً هو كيف تحول المعتقد الصحيح بدين محمد صلى الله عليه وآله إلى دين الملوك والاباطرة التي وردت في روايات كتب التاريخ، من هنا كان دور إيقاظ الوعي لدى حشود هائلة سارت بإتجاه قبول تزييف الدين، وهنا تبرز لنا أهم الحقائق فيما يتعلق بالإيمان الحقيقي، طبيعته الجدلية، طبيعته المتناقضة بالضرورة ومن حيث الجوهر والماهية، الخضوع العارف هو الشرط الضروري للسيطرة القادرة، الدعوة للإيمان الحقيقي يستدعي ويقتضي نقيضه، أعني القبول بحقيقة الأشياء، المعرفة الواقعية بهذا الإيمان، إننا بازاء ذلك الصراع والجدل، بهذا الطريقة توجه الإمام السجاد عليه السلام في حواره مع الإنسان المغلوب على أمره تارة، والمسلوب الوعي والإرادة تارة أخرى.

إن الإنسان من حيث جوهر علاقته بالسلطة والمجتمع تقوم على أساس العبد الذي يصير سيداً وهو يصبح كذلك إلا بقدر ما يقبل عبوديته على نحو ما، أي بقدر ما يعرف حقًا وجه الضرورة.

تشييد الوعي بالذات:

أستطاع الإمام زين العابدين عليه السلام تشييد الوعي بالذات لدى جمهرة من المسلمين في ظرف استثنائي تحت وصاية وحكم الدولة الاموية القاسية ضد كل مظاهر وقيم آل البيت، علماً أن تعريف الوعي بالذات هو أن يعرف الفرد حقيقة نفسه وما تنطوي عليه من دوافع ونزعات ومشاعر ورغبات، وما يمتاز به من امكانيات واستعدادات، وما به من أوجه قصور وعيوب وما تحيط به من ظروف، وما لديه من الأهداف التي يبغيها لقيامه بنشاطه، ومدى احتمال نجاحه في تحقيقها(طه، ١٩٩٣، ٨٤٨) استطاع أن يكون حديثه مثمراً نافذاً وفعالًا يصدر في الوقت المناسب، عندما يشعر المتلقي بأن الوقت قد حان لأن يستبصر Insight في ما يقوله سليل الأسرة المحمدية، وهو صادق فعلًا وقولًا، ووضع الجميع من جمهور المستمعين فبدأوا يشعرون بأنهم في حاجة إلى بيان، ودليل، إلى معرفة مضافة على سجل

أبيه وجده، كانوا بحاجة إلى المناقشة وإتخاذ القرار، أو حتى عندما يتساءل الناس: هل يعرف الإمام زين العابدين ما نحن فيه وعليه؟ هل يعرف كل الحقيقة عن الذي نعيشه أو نأمله فيه؟

من مزايا ما كان يطرحه الإمام علي بن الحسين عليه السلام من تقييم لأشكال الحياة الاجتماعية السائدة آنذاك، والتدهور القيمي المتسارع، وانتشار روح العصبية القبلية ونقلها باسلوب جديد يرسخ سلطة الأسرة الواحدة، أو سلطة القبيلة، أو نزعة الجاهلية، فجعل نفسه منفوحاً أمام التحدي الفكري القائم على روح المسالمة والتغيير، ويمكننا أن نستنتج من أفعاله بأن سراب الحيادية الذي كان يعارضه منهج أبيه" الإمام الحسين عليه السلام" قد غيره، لأنه يقلل من السير في طريق إنجاز الأهداف الواقعية، وهو الإمام الباقي من آل البيت عليهم السلام وهو الذي يعمل بتحصين فكر وعقيدة محمد صلى الله عليه وآله الأصيلة وليست المشوهة، ولا نغالي إذا قلنا أنه أستطاع بتقديس أحداث واقعة الطف في كربلاء وأقام بإحيائها في المدينة بعد عودته مع بقايا أسرته من كربلاء رغم الجو السياسي المشحون الذي أضفاه الحكام الأمويون وفي الأخص نحو آل البيت، زعماء الثورة ضدهم، إنها معادلة صعبة ويقول علماء النفس يمثل المضي في أي إتجاه مقامرة، لكنه أيضًا تعبير عن الأمل، والأمل الذي يحرك هذا الوضع السياسي السائد(أونغر، ٢٠١٠، ٢٢١) حيث يحتكم إلى مصلحتنا في التقدم ضمن منطقة التقاطع بين ما نطرحه من أفكار إسلامية أصيلة قائمة على الإسلام المحمدي، وليس نقيضه الإسلام الأموي، ومصلحتنا الأخلاقية في إعتاق الفرد من التشويه والتراتبية الاجتماعية التي شيدها الفكر الأموي وتحصن بها أصحاب المصالح الدنيوية، فكانت دعواتنا الروحية في بناء الأسس الاجتماعية الصحيحة بين جمهرة المعارضين لدولة بني أمية ومن يظهر لنا المودة ويتعاطف مع مأساتنا.

ما كان تبسيط الدين الأصيل الذي جاء به محمد صلى الله عليه وآله على رجالات السياسة في حكم بني أمية ليقتضي ابتذاله، وكانوا يدافعون عن فكرة مفادها، إن غاية ما تقتضيه فكرة التبسيط أن يكون سهلًا ومتاحًا للجميع، حتى وإن فقد بعض روحه الأصيلة، رفض الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام هذه المبررات وكان يؤكد على أن ما جاء به جده النبي محمد صلى الله عليه وآله ورسخه علي بن أبي طالب عليه السلام بمبدئيته لا تكون جميعها أموراً بديهية مهما أفتى وأفترى علماء بني أمية ورجال دينهم، ومهما أقتصر الحديث على المعالم دون التفاصيل، لأن الدين واحد لا يتغير.

بناء الذات الجديدة على وفق مبادئ الإمام علي بن الحسين عليه السلام:

إن آثار العداء قد تكون مؤلمة جداً، وقد يستحيل ترميم تلك الاختلالات التي تنشأ عنه، فإنه قد ينتهي أمر الإنسان فيه إلى أن يحس بالعبء الثقيل على ظهره مدى عمره من الأحساس بألم ووخز الضمير من أثر خطأ كبير كان من ثمار العمل غير المعقول، وقد ينتهي أمره في ذلك إلى فاجعة في عاقبة سوء لا تحمد، بينما نرى بعض الرجال الأقوياء يتعلمون من النقد نقاطاً بناءة فيهيئون بذلك لإنفسهم عوامل الاصلاح(اللاري، ١٣٠٥هـ، ١٢٦) وكان الإمام علي بن الحسين عليه السلام لم يعد مجرد السعي وراء التغلب على الألم الذي سببه له ولأسرة آل بيت النبوة بنو أمية، إذ أنه سعى لبناء ذات جديدة تتخلق من خلال مبادئ الإسلام الحقيقي والصحيح، فهو وضع الهدف من حيث المبدأ أن يشيد ذاتًا جديدة، وتبنى فكرة أنه لا توجد لذة إلا في مقابل الألم، ولكن الجديد الذي طرحه هو القدرة على التغلب على الألم بقبول الألم ذاته، أسوة بقبول السعي وراء تحقيق أهدافه بتكوين وبناء ذات جديدة صاغها بنفسه، وقوله: الخير كله في صيانة الإنسان نفسه.

إن التواضع الإلزامي الذي نهجه الإمام السجاد عليه السلام في بنائه لذات إسلامية جديدة وهي مدخل لنظريته في البناء النفسي للذات الجديدة والتي خطت أسس منهج آل البيت بعده في وضع سياسي صعب للغاية، قامت على إقصاء غطرسة الإنسان الخرقاء أحيانًا، وإتاحة الفرصة له لكي يفكر بوضعه بين حين وآخر، ويلغي هذا الموقف كل حكم بين الناس، كل احتقار وكل لوم، وسيشعر الإنسان الذي أصبح متواضعًا، تجاه الكون، أنه جزء متمم منه وقطعة ذات وعي من آليته(داكو، ٢٠٠٧، ١٣٢) وبذلك فإن صفو القول للخصائص العامة لنظريته في بناء الذات الإسلامية الجديدة كما رسمها بقوله: عجبت لمن يحتمي عن الطعام لمضرته، ولا يحتمي من الذنب لمعرته(هويدي، ٢٠٠٨، ٢٤٩)

صنع الإمام السجاد عليه السلام على مستوى المجتمع في دعوته السلمية الهادئة حالة الوعي بالتجديد، أو لنقل التغيير الداخلي نحو الأصالة في الدين، وليس الدين السياسي الأموي الذي جعل الأفراد مجرد تكرار بدون هدف أو اتجاه، وجعل الناس مجرد أدوات مسلوبة الإرادة تدور دون وعي.

الخاتمة:

تساؤلنا فيما وصل إليه الإمام السجاد عليه السلام في تأسيسه للذات الجديدة في الإسلام قامت على ما يطرحه بعض الفلاسفة وعلماء النفس إذا ما طرحنا تلك الأطُر النظرية برؤية نفسية - اجتماعية بحتة ونقول:

هل هي مرحلة بداية للتكامل؟ مستنداً في ذلك على: **ألا هل بلغت.. اللهم فأشهد.**

إذا كانت مرحلة الحكم الأموي تعبر عن تدهور جوهر نقاء الإنسان المسلم وانتقاله إلى مرحلة البناء المشوه القائم على الملذات ومتع الدنيا واكتناز الاموال والبحث عن ما يزيد من الجاه والتقرب للسلطة التي تغدق بدورها على من يمتدحها ويقلل من ذكر ماضيها غير المشرّف أبان فترة حكم الرسول ومن بعده الخلفاء الراشدين، هي أيضًا مرحلة بداية لحكام بني أمية، وهي بذات الوقت مرحلة بداية لتأسيس ذات جديدة وهوية جديدة خط أسسها الإمام علي بن الحسين- الإمام السجاد عليه السلام وهي تكرار لمقولة النبي محمد صلى الله عليه وآله **ألا هل بلغت..اللهم فأشهد**، في هذه المرحلة من حياته وقد عاشها كاملة وواجه مختلف التحديات مع أبيه الإمام الحسين عليه السلام وأتم ما يستطيع إنجازه من مواقف ومعطيات تاريخية واجتماعية، فإنه أخذ زمام الأمور وبدأ يستعد بممارسة وجوده الفعلي بتكوين هذه الذات المتفردة بآل البيت لينشرها كذات جديدة مختلفة عن الذات الاموية الشكلية للإسلام، ذات(محمدية – محمد) المنشأ، (علية – علي) الفحوى، تقوم بممارسة العطاء ثم الأخذ، وليس نقيضها بالذات الأموية المشوهة الاخذ ثم العطاء، أو الأخذ والعطاء معًا، فدعوات الإمام السجاد عليه السلام بنظريته هذه أوصلته إلى حالة السكينة والأطمئنان، وأصبح راضيًا عن نفسه قادرًا على التمسك بأصله، مفتخرًا بنسبه، أطاع الله ولم يعص والديه، ولم يطمع في الجزاء، ولم يخف من العقاب، فهو في دعوته لبناء أسس جديدة للهوية الإسلامية والذات الجديدة، أشاد بالوعي حتى أنه أقترب من حالة السكون التام، أو السكينة التي أوصلته إلى ذروتهما في الموت، ولهذا فان الموت بالنسبة له أمر طبيعي ينتظره بدون خوف أو رغبة ملحة ولكن باستعداد وتقبل.

هوامش البحث ومصادره

- أبو زهرة، محمد (ب.ت) تاريخ المذاهب الإسلامية، القاهرة: دار الفكر العربي(في) القزويني، علاء الدين أمير محمد(١٩٨٦) الفكر التربوي عند الشيعة الإمامية، الكويت: مكتبة الفقيه
- أبو زيد، أحمد إبراهيم(١٩٨٧) سيكولوجية الذات والتوافق، الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- أونغر، روبرت مانغابيرا(٢٠١٠) يقظة الذات، ترجمة إيهاب عبد الرحيم محمد، الكويت: مطابع دار السياسة، سلسلة عالم المعرفة الكويتية، العدد ٣٧٥، مايو.
- الأماره، أسعد شريف(٢٠١٣) مقدمة في السلوك الجمعي، واسط: مكتب بغداد للطباعة.
- داكو، بيير(٢٠٠٧) الانتصارات المذهلة لعلم النفس الحديث، ترجمة وجيه أسعد، دمشق: الدار المتحدة.
- دافيدوف، لندا ل(١٩٨٣) مدخل علم النفس، ترجمة سيد الطواب وآخرون، القاهرة: دار ماكجرو هيل.
- تعريف الهوية http://www.almaany.com
- زيور، نيفين(٢٠٠٠) من النرجسية إلى مرحلة المرآة، القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية.
- زيور، نيفين(٢٠٠٦) في التحليل النفسي، القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية.
- الشرقاوي، عبد الرحمن(١٩٨١) شخصيات إسلامية- أئمة الفقه التسعة- (في) القزويني، علاء الدين أمير محمد(١٩٨٦) الفكر التربوي عند الشيعة الإمامية، الكويت: مكتبة الفقيه.
- شريعتي، علي(٢٠١٢) بناء الذات الثورية، ترجمة إبراهيم دسوقي شتا، بغداد: مكتبة المعرفه.
- صبحي، أحمد محمود(١٩٦٩) نظرية الإمامة، القاهرة: دار المعارف بمصر.
- الصدر، محمد باقر(١٩٧٣) علي بن الحسين زين العابدين، دائرة المعارف الشيعية، بيروت: دار التعارف(في) القزويني، علاء الدين أمير محمد(١٩٨٦) الفكر التربوي عند الشيعة الإمامية، الكويت: مكتبة الفقيه.
- طه، فرج عبد القادر(١٩٩٣) موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، الكويت: دار سعاد الصباح.
- عبد القادر، حسين(١٩٩٣) موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، الكويت: دار سعاد الصباح.
- القزويني، علاء الدين أمير محمد(١٩٨٦) الفكر التربوي عند الشيعة الإمامية، الكويت: مكتبة الفقيه.
- لادل، مكدونالد(ب.ت) قاموس مصطلحات علم النفس، ترجمة يوسف ميخائيل أسعد، القاهرة: دار النهضة العربية.
- اللاري، مجتبى الموسوي(١٣٠٥ ه) دراسة في المشاكل الاخلاقية والنفسية، ترجمة محمد هادي الغروي، قم: مطابع مكتب نشر الثقافة الإسلامية.
- هول، و ج، لندزي (١٩٧٠) نظريات الشخصية، ترجمة فرج أحمد فرج وقدري حفني ولطفي فطيم، الكويت: دار الشايع.
- هويدي، محمد(٢٠٠٨) التفسير المعين للواعظين والمتعظين، دمشق: دار الشجرة للنشر والتوزيع.